الفصل الرابع

ميادين التربية

ميادين التربية

المدارس الفكرية والفلسفية عند الأمم والشعوب فى قديم العصور وحديثها ، نظرت لسعادة الإنسان نظرات تختلف عن نظرة الإسلام لها ، فمنهم من تصور هذه السعادة في الكمالات الروحية على حساب الغرائز الجسدية ، ومنهم من تصور سعادة الإنسان في المال واللذة والشهوات على حساب الجانب المعنوى ، وكل هؤلاء تنكبوا الطريق الصحيح .

أما الإسلام فقد اهتم ببناء الشخصية الإنسانية ورعاها من كافة جوانبها: المادية والمعنوية، والروحية والعقلية ، فكل جانب يؤثر على الآخر ، والسعادة تؤسس على اعتدال وتكامل هذه القوى وتعاونها :

أولا : تربية الجسم :

* اهتم الإسلام اهتماما بالغا بتربية الجسم ،وحين نتحدث عن الجسم فليس المقصود هو عضلاته وحواسه ووشائجه فحسب. وإنما نقصد كذلك الطاقة الحيوية المنبثقة من الجسم، والمتمثلة في مشاعر النفس ، طاقة الدوافع الفطرية والنزوعات والانفعالات.. طاقة الحياة الحسية على أوسع نطاق [1].

وأولئك للذين يحاولون قمع الجسد ورغائبه، يقعون في خطأ كبير.. فالشهوات خلقت لفائدة، وهي ضرورية لاستمرار الحياة، فلو انقطعت شهوة الجماع (مثلا) لانقطع النسل،وكذلك لو انعدم الغضب بالكلية لم يدفع الإنسان عن نفسه ما يهلكه ولهلك، فليس المطلوب قمع رغائب الجسد.. بل المطلوب ردها إلى الاعتدال الذي هو وسط بين الإفراط والتفريط [2].

---

(١) منهج التربية الإسلامية : محمد قطب ١/ ١٠٤.

(٢) إحياء علوم الدين : الغزالى ٣/ ٦٢.

* والجسد هو الأداة التي عن طريقها تترجم الذات الإنسانية أعمالها. فإذا كانت الأعمال، ما يتعلق منها بالفرد واهتماماته، أو بالمجتمع واحتياجاته، خالصة لوجه الله ومنفعة عباده.. قبلها الله عز وجل عبادة يثاب عليها فاعلها [1]. حتى اللقمة يرفعها المرء إلى فم زوجته بغية إيناسها عبادة ما دامت في الإطار المشروع وفي الوجه الصحيح.

ولقد استغرب الصحابة - رضوان الله عليهم- هذا الفهم.. وتساءلوا: أيأتي أحدنا شهوته وله في ذلك أجر؟ ويجيبهم رسول الله ﷺ : « أرأيتم لو وضعها في غير موضعها، أيكون عليه وزر؟ »قالوا: بلى يا رسول الله ، قال: « كذلك إذا وضعها في موضعها له في ذلك أجر» .

وعندما فهم بعض الصحابة أن المبالغة في العبادة ولو على حساب الجسد، أمر مطلوب، نهاهم رسول الله ﷺ عن ذلك وقال: «أما أنا فإني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأنكح النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس منّي» [2] ، وعندما علم رسول الله ﷺ عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما مثل هذا السلوك، قال له: «ألم أخبر أنك تقوم الليل وتصوم النهار؟» قلت: بلى، قال: «فلا تفعل. قم ونم وصم وأفطر ، فإن لجسدك عليك حقا ، وإن لعينك عليك حقا ، وإن لزوجك عليك حقا، وإنك عسى أن يطولَ بك عمر، وإن من حسبك أن تصوم في كل شهر ثلاثة أيام ، فإن بكل حسنة عشر أمثالها فذلك الدهر كله» [3].

* والجسد مركب يوصل صاحبه إلى فعل الخيرات : يسعى في حاجة الناس خير له من أن يعتكف متعبدا..ويميط الأذى عن طريق المسلمين..ويضرب في الأرض ، فيكسب رزقه ورزق عياله. ويخدم إخوانه الصائمين ، فيكون أولى منهم بالأجر. ويجاهد في سبيل الله لتكون كلمة الله هي العليا.

---

(١) فلسفة التربية في القرآن الكريم : علي خليل أبو العينين ص ١٦٠.

(٢) البخاري (٥٠٦٣) .

(٣) البخاري (١١٥٣) .

كل هذه الأعمال وغيرها عبادات يعطى فاعلها أجر الصائمين القائمين الذاكرين. بشرط واحد أن تكون متوجهة في النية لرب العباد.

لهذه الأسباب فقد كان العقل السليم فى الجسم السليم، وكان المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف.

* والقوة المطلوبة تتعدى قوة الجسم إلى القوة المعنوية، التي تتمثل في قوة الأخلاق التى تضبط القوة وتوجهها.

إن المجتمع لا يحيا بالمال والسلاح وكثرة العدد فقط، بل يحيا بالإنسان الأخلاقي ذي الإرادة القوية والعزيمة الماضية والوعي السليم.

إن الغضب والانفعال والاندفاع لأتفه الأسباب، ليس من القوة، بل من التهور، وقد أوصى النبي ﷺ الصحابي عندما سأله فقال: « لا تغضب »وكررها مرارا.

وبيّن صلوات الله وسلامه عليه أن ذلك الإنسان الذي يصرع الآخرين بهياجه لا يعد قويا ولا شديدا، فالشديد ليس بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب.

ويتوهم بعضهم فيعتقد أن من يهيج ويرفع صوته منفعلا غاضبًا إنما يدل بذلك على قوته، وواقع الأمر أن ذلك من ضعفه وعدم استواء شخصيته. والغضب يبدد القوى العقلية، ويشل التفكير، ويشتت الانتباه، فالغاضب لا تسيطر على عقله إلا فكرة واحدة، هي التي أثارت غضبه.

قال رسول الله ﷺ:«لا يقضينّ حكمٌ بين اثنين وهو غضبان». ومثل القاضي المدرس والمربي والداعية.. فكم جرّ الغضب من عداوات لأسباب تافهة لا تستحق الوقوف عندها أو إضاعة الوقت في تناولها.

* والجسم ليس ملكا للإنسان.. بل هو لمن خلقه.

وعليه فلا يستطيع الإنسان أن يقتل نفسه.. أو يوردها موارد التهلكة، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾[1].

لقد اهتم الإسلام بكل الأسباب التى تعطى الجسم حقه فى الرعاية والعناية والقوة.

* ففى مجال الصحة الوقائية: مُنع المسلم من أن يقدم على أرض فيها وباء، أو أن يخرج منها إذا كان فيها.

وفى مجال الصحة العامة: أمره بالتداوي فإن الله لم يخلق داء إلا وخلق له الدواء.

واهتم بنظافة الأبدان. وطهارة الأجسام (طهارة من الخبث، وطهارة من الحدث، وطهارة من فضلات البدن)، قال تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾[2]. وأمر بالسواك عند كل صلاة.

واعتنى الإسلام بالتربية الرياضية لما لها من أثر على التربية الجسمية.. فحض على إتقان الرمي، وأن يحرص المسلم على تعليم أبنائه السباحة والرماية وركوب الخيل وكل ما كان من هذا القبيل.

* وضمن هذا الإطار، وتطلعا لتوفير مستوى لائق من الصحة النفسية للطفل يرى رجال التربية ضرورة إفساح المجال له باللعب، يقول أبو حامد الغزالي: ينبغي أن يؤذن للطفل بعد الانصراف من الكتّاب أن يلعب لعبا جميلا يستريح إليه من تعب المكتب بحيث لا يتعب في اللعب، فإن منعَ الصبي من اللعب وإرهاقَه إلى التعلم دائما يميت قلبه ويبطل ذكاءه وينغص عليه العيشَ حتى يطلبَ الحيلة في الخلاص منه[3].

---

(١) النساء: ٢٩.

(٢) المائدة: ٦.

(٣) إحياء علوم الدين: أبو حامد الغزالي ٣ / ٧٩.

ويتابع الإمام الغزالي فيقـول: وينبغي أن يمنع من النوم نهارا فإنه يورث الكسل ، ولا يمنع منه ليلا ، ولكن يمنع الفرش الوطيئة حتى تتقوى أعضاؤه ولا يترهل بدنه ،ويعوّد الخشونة في المفرش والملبس والمأكل،ويعوّد في بعض النهار المشي والحركة والرياضة حتى لا يغلب عليه الكسل،وليس معنى هذا أن يحرم التلميذ من أسباب الزينة ، فإن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده ، بل أن ينشأ الشباب على الرجولة والخشونة مصداقا لحديث رسول الله ﷺ: «إياكم والتنعم،فإن عباد الله ليسوا بالمتنعمين» [1].

* واعتنى الإسلام بالنظام الغذائى الذي يؤمن للجسم نموا سليما متكـاملا.. وقـد لام عمر بن الخطاب ﷺ الخليفة الراشد نفسه عندما كان يفـرض للطفـل نصـيبه من بيت مال المسلمين بعد الفطام ، فكانت الأمهات يفطمن أبناءهن بسرعة فلما علم ذلك ، قال الخليفة العادل يلوم نفسه: كم أهلكـت مـن أطفـال المسـلمين ؟ وبدأ يفرض لهم منذ الولادة.

والتغذية في الإسلام تقوم على نظام يعتمد الاعتدال في الطعام والشراب ويتجنب الإسراف، قال تعالى : ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ [2].

يقول الإمام الغزالى وهو يعلق على هذه الآية: وأول ما يغلب على الطفل من الصفات شره الطعام، فينبغى أن يؤدب منه ، وألا يسرع فى الأكل وأن يجيد المضغ [3].

ومعلوم أنه ما لم يتمتع الجسم بمستوى صحي لائق، فلن يكون بمقدور الإنسان أن يقوم بواجباته تجاه ربه وبيته ومجتمعه [4].

---

(١) أحمد (٥ / ٢٤٣) .

(٢) الأعراف.

(٣) إحياء علوم الدين : أبو حامد الغزالي ٣ / ٨٨.

(٤) التربية الإسلامية عند الإمام الغزالى : أيوب دخل الله ص ١٦٤-١٧٢ باختصار.

وهكذا يركز منهج التربية الإسلامية على جميع طاقات الإنسان ومنها الجسد ، فيسعى إلى تنميته وتقويته وتمتعه بكل ما أحله الله له، وهو بذلك يسهم إسهاما فاعلا في تكوين الشخصية الإسلامية المتميزة المتكاملة المتوازنة .

ولقد اهتمت المناهج الحديثة التعليمية منها والدعوية بهذا الجانب التربوى ، فجعلت حصص الألعاب والمخيمات والرحلات ومسابقات الجرى والرياضة البحرية والبرية ، من الحصص التى يلتزم بها الأفراد لما فى ذلك من فوائد عظيمة في صيانة الجسد وتقويته.

ثانيا : التربية الروحية :

عنى الإسلام عناية خاصة بالروح ؛ لأنها فى نظره- مركز الكيان البشري ونقطة ارتكازه. إنها القاعدة التي يستند إليها الكيان كله ويترابط عن طريقها. إنها المهيمن الأكبر على حياة الإنسان. إنها الموجه إلى النور. يكفي أنها صلة الإنسان بخالقه.

وإذا كانت طاقة الجسم، والعقل محدودة فإن طاقة الروح لا تعرف الحدود والقيود، لا تعرف الزمان والمكان، لا تعرف البدء والنهاية. لا تعرف الفناء ، هي وحدها تملك الاتصال بما لا يدركه الحس ولا يدركه العقل ، هي وحدها التي تملك الاتصال بالخلود الأبدي والوجود الأزلى ، تملك الاتصال بالله، كما أنها هي التي تملك الاتصال بالوجود كله من وراء حواجز الزمان والمكان [1].

وعليه فلا غرابة أن تشكل التربية الروحية العامل الأكثر أهمية في بناء الشخصية الإسلامية المتكاملة، وهي تقوم على أمرين :

الأول : هو الإيمان بالله واليوم الآخر: وهو من أهم القوى المؤثرة في حياة الفرد والمجتمع ، هذا الإيمان هو الذي ينبعث عنه أكمل الصفات الإنسانية والاجتماعية من الإيثار والتضحية والحب، والرحمة وإسداء الجميل والتعاون على البر والتقوى واحتمال مشاق الجهاد والبذل في سبيل الحق والخير وإقرار المثل العليا فى الأرض [2] .

---

(١) منهج التربية الإسلامية : محمد قطب ١ / ٤٧ .

(٢) المسألة الاجتماعية بين الإسلام والنظم البشرية : عمر عودة الخطيب ص ٢٠٤.

والإيمان بالله يشعر المؤمن بالأمان النفسي، فهو ليس وحده في مواجهة الأحداث، ولكن الله معه. قال تعالى:﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾ (١).

ولقد شكل الإيمان بالله واليوم الآخر السبب الحقيقي لانتصار المسلمين.. لم يكن انتصار معجزة، وإنما نتيجة طبيعية لاستنجاد الأمة بربها ومن نجدة ربها لها، إنه نتيجة لسلوك هذه الأمة التي آمنت بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد ﷺ نبيا ورسولا، بهذه العقيدة الصادقة انتصروا وصنّعوا واخترعوا وأثروا التاريخ. ونقطة البدء في كل حضارة هي العقيدة، هي القيم الموجهة للجماهير، هي الأفكار التي توجه سلوك قيادتها (٢).

ولهذه الأسباب يرى المربي أبو حامد الغزالي: وجوب تعليم الصبي في أول نشوئه العقيدة، يحفظها أولا ثم لا يزال ينكشف له معناها في كبره شيئا فشيئا، ابتداؤه الحفظ ثم الفهم ثم الاعتقاد والإيقان والتصديق، وذلك مما يحصل في الصبي بغير برهان (٣).

والعقيدة هي التي تربي الضمير، كقوة ذاتية داخلية تحفظ الإنسان من الضياع والانحراف.

أما المبدأ الثاني للتربية الروحية فيقوم على الالتزام بآداب الإسلام وأداء فرائضه والتمسك بأحكامه، لأن الإسلام نظام شامل لكافة مجالات الحياة.

فعلى المتعلم أن يشتغل بتلاوة القرآن وتفسيره وقراءة الحديث ومعانيه، ويشتغل بوظائف العبادات فلا يزال اعتقاده يزداد رسوخا بما يقرع سمعه من أدلة القرآن وحججه، وبما يرد عليه من شواهد الأحاديث وفوائدها، وبما يسطع عليه من أنوار العبادات، وبما يسري إليه من مجالسة الصالحين، فيكون أول التلقين كإلقاء بذر في

---

(١) الأنعام: ١٢٥.

(٢) الطريق إلى مجتمع عصري: محمد جلال كشك ص١٤-٢٠ باختصار.

(٣) إحياء علوم الدين: أبو حامد الغزالي ١/ ١١٣.

الصدر ، وتكون هذه الأسباب كالسقي والتربية له حتى ينمو ذلك البذر ويقوى ويرتفع شجرة طيبة راسخة أصلها ثابت وفرعها في السماء[1].

والعبادة أشمل وأوسع من مجرد الشعائر التعبدية فهي تشمل كل شيء، كل عمل يتوجه به الإنسان إلى الله، وكل عمل يتركه الإنسان تقربا لله واحتسابا ، بهذا المعنى تصبح العبادة هي الصلة الدائمة بين العبد والرب، وتصبح هي التربية الدائمة للروح.

من ثمار هذه الصلة الدائمة بالله : الإحساس الحي بالصلة الوثيقة بين الإنسان والكون، ومن ثمارها حب الحياة في جميع الأحياء ، ومن ثمارها الاستعلاء على كل قوة طاغية في الأرض .

والتربية الروحية لا تعني بحال دفع الناس إلى الدروشة والانزواء في زوايا المساجد أو الطرق الصوفية، إنها حياة روحية سلبية لا يحبذها الإسلام ولا يدعو لها[2].

ثالثا : التربية العقلية :

والعقل فى رأى الإسلام هو قوة مدركة في الإنسان خلقها الله فيه ليكون مسؤولا عن أعماله على أساس قدرته للإدراك والتمييز بين الحق والباطل والخير والشر والحسن والقبح ثم تكليفه بناء على ذلك أن يتبع طريق الحق والخير والحسن ، وأن يتجنب طريق الباطل والقبح والضلال والانحراف ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ ﴾[3].

فالعقل قوة مدركة فطرية فى الإنسان، يستعمل لثلاثة معان:

* الإدراك.

* العمل بمقتضى الإدراك وهو العقل العملى أو الحكمة.

---

(١) إحياء علوم الدين : أبو حامد الغزالى ١/ ١١٣.

(٢) جوانب التربية الإسلامية الأساسية : د. مقداد يالجن ص ٢٤١.

(٣) الملك.

* والثالث العقل القلبي.

والإنسان يحسّ بالفرق بين الإدراك العقلي وهو إدراك منطقي تسلسلي واستدلالي، بينما إدراك القلب مباشر وفجائي وإلهامي ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ۝﴾[1].

فالإنسان أحيانا قد يشعر بحقيقة في نفسه ولا يجد لها دليلا منطقيا. وبالعكس قد يجد دليلا منطقيا ولا يطمئن إليه قلبه أو يقتنع به قلبيا[2].

وكلما كان القلب طاهرا كانت الحقائق أكثر انعكاسا عليه، لكنه إذا أهمل وران عليه ما كان يكسبه الإنسان من السيئات، فإنه يصبح في حال لا تعكس الحقائق عليه «تعرض الفتن على القلوب كالحصير عودا عودا، فأي قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء وأي قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء، حتى تصير على قلبين على أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض، والآخر أسود مربادا كالكوز مجخيا لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا إلا ما أشرب من هواه»[3].

والتربية العقلية تبدأ بالعلم والشعور بالحاجة إلى المعرفة والاستطلاع.

والعلم هو سبيل الإنسان للتمييز بين الخير والشر، وهو السبيل لبناء الأمم والنهوض بالمجتمعات .. قال تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[4].

كان الرجل يقبل على الإسلام، وينطق بالشهادتين، فيسلّمه رسول الله ﷺ إلى أصحابه، ويقول: «خذوا أخاكم فعلموه دينه» ولم ترتفع منارة الحضارة الإسلامية في العالمين إلا عندما بدأ المسلمون يتسابقون في تحصيل العلم. قال رسول الله ﷺ: «فما من

---

(١) النجم: ١١.

(٢) جوانب التربية الإسلامية الأساسية: د. مقداد يالجن ص٨٧-٨٩.

(٣) كتاب التاج ٥/ ٣٠٩ (كتاب الفتن).

(٤) الزمر: ٩.

خارج خرج من بيته في طلب العلم إلا وضعت الملائكة أجنحتها رضا بما يصنع»[1]. أما العلماء فقد كرمهم رب العزة فقال: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا ﴾[2]، وصنفهم الدين في الدرجة الثانية بعد الأنبياء فأصبحوا ورثة الأنبياء، فهل هناك مقام أعلى من هذا المقام؟

وإذ حث الإسلام المسلم أن يتعلم، فقد أمره أن يعمل بما علم، وأن يعلِّم الآخرين مما علمه الله، وأن يكون ذلك فى سبيل الله.

والعلم هو الحكمة يطلبه المسلم ولو فى الصين، وكذلك الحكمة فهى ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها.

ويُتدبر العلم بالعقل، والعقل هو الوسيلة لتدبر آيات الله فى الأنفس والآفاق، وتدبر حقائق الوحي وحقائق الحياة[3].

قال تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ ﴾[4].

وقال تعالى: ﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[5].

وللعقل شرف ومكانة في الإسلام، فهو النور الذي يهتدي به السالكون، قال تعالى: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ ﴾[6].

ولقد غالت بعض الفرق الإسلامية بدور العقل، وأعطته وظيفة ليست له، مما أدى بها إلى الانحراف، وجاء العلماء المصلحون يصححون المسيرة ويتصدون لهؤلاء الفلاسفة معيدين الأمر إلى الهدى الرباني الذي بينه المعلم الأول ﷺ، فسعى إلى تحديد مجال النظر

---

(١) ابن ماجه (٢٢٣)، وأحمد (٤/ ٢٣٩).

(٢) فاطر: ٢٨.

(٣) خصائص التصور الإسلامي: سيد قطب ص ١٤١.

(٤) الحج.

(٥) الذاريات.

(٦) الأنعام: ١٢٢.

العقلي حتى يحول دون تيه الطاقة العقلية في الغيبيات التى لا سبيل للعقل البشري أن يحكم فيها.

* عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: خرج رسول الله ﷺ على أصحابه وهم يختصمون في القدر، فكأنما يُفقؤ في وجهه حبُّ الرمان من الغضب، فقال: «بهذا أُمرتم؟! أو لهذا خُلقتم؟! تضربون القرآن بعضه ببعض، بهذا هلكت الأمم قبلكم» [1].

منهج التربية العقلية:

أما المنهج الإسلامي في التربية العقلية فقد حدده القرآن الكريم بخطوات متتالية كما يلي:

* يبدأ بتفريغ العقل من كل المقررات السابقة التي لم تقم على يقين ﴿قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾﴾ [2].

* وينعى على الذين يتبعون الظن: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ [3].

* ثم يأمر بالتثبت من كل أمر قبل الاعتقاد به واقتفائه، فالمنهج العلمي يتسم بالموضوعية ودقة الملاحظة والبعد عن الخرافات، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾﴾ [4]. فهو مسؤول عن علمه كيف حصله.. وعن عمله على أي شيء بناه، فلا يأخذ الأمور باستخفاف، ولا يأخذها بلا تثبت [5].

---

(١) ابن ماجه (٨٥).

(٢) البقرة.

(٣) النجم: ٢٨.

(٤) الإسراء.

(٥) منهج التربية الإسلامية: محمد قطب ١ / ٧٧.

*وتوجيه القرآن الكريم العقل البشرى للنظر فى ملكوت الله فى السموات والأرض، نظرا يبدأ بالتفكر وينتهى بالعمل. قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾[1].

﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾ ﴾[2].

هذا النظر والتفكر في خلق الله، يوجه العقل البشري إلى الإيمان بالله خالق الكون بالحق. ويعمل على ترسيخ اليقين في قلوب عباده المستبصرين،الذين استدلوا عليه سبحانه بصنعته فعلموه ،وتحققوا أن لا إله إلا هو فوحدوه ، وشاهدوا عظمته وجلاله فنزهوه ، فهو القيّم بالقسط في جميع الأحوال ، وهم الشهداء على ذلك بالنظر والاستدلال[3] . قال تعالى : ﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ ﴾[4].

﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾ ﴾[5].

---

(١) آل عمران.

(٢) عبس.

(٣) مجموعة رسائل الإمام الغزالي ١/ ٣.

(٤) آل عمران.

(٥) آل عمران .

تعكس الآيات وجها من وجوه التربية العقلية في الإسلام.. وذلك من خلال توجيه العقل لتدبر آيات الله في الكون حيث تبدأ هذه العملية بالتفكر وتنتهي بالعمل.. العمل بمقتضى الدستور (الحق) الذى نزل به القرآن .. والجهاد فى سبيل إقرار هذا الدستور، وتسيير دفة الحياة على نهجه وشريعته. ثم تصل إلى الغاية القصوى. تصل إلى الجزاء فى الآخرة، فتصل الأرض بالسماء، والدنيا بالآخرة وتصل البشر بالله ، وحين يقيس الإنسان هذا اللون من التوجيه للطاقة العقلية في تدبر حكمة الله وتدبيره، بالفلسفة قديمها وحديثها، يدرك في الحال عظم الفرق وعظمة المنهج الإلهي في تربية العقل البشرى [1].

وفى المجال العلمى وتطوير المعرفة.. فقد وجه الإسلام العقل البشرى إلى التعرف على آيات الله فى الأنفس والمخلوقات ، وربطها بآيات الله فى الكون وأجرام السماء ، وربط الدنيا بعد ذلك بالآخرة. معرفة انتهت من البعد الواحد إلى الأبعاد.. التى تعطى المعرفة شكلها المجسم الواضح ، وإلى الفهم الذى يستند إلى هذه المعرفة الشاملة المجسمة الطموحة .

* يدفع العقل البشري إلى فهم الظواهر الكونية والمعارف البشرية ﴿ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ ۝ ﴾ [2].

* ويخطط للمستقبل المرتبط بالسنن الكونية في الأنفس والآفاق. وفي ضوء ذلك يحتل التخطيط الأهمية الكبرى في حياة الأفراد والمجتمعات ، فالإنسان العاقل لا يترك مصيره للعواصف ، بل يرسم الخطط لشؤون حياته، وتكون لديه القدرة على التنبؤ بأنواع الظروف المرتقبة التي ستواجهه، فيحسب لكل شيء حسابا، ويوجه نشاطه في ضوء ما سيؤول إليه [3] .

---

(١) منهج التربية الإسلامية : محمد قطب ١/ ٨٣.

(٢) الرحمن .

(٣) معجزة الإسلام التربوية : د. محمود أحمد السيد ص ١٠٢.

فإذا كان الإنسان يبدأ طفلا ثم شابا ثم شيخا.. فعليه أن يستغل فترة الشباب وهي سنوات العطاء بما يعود عليه وعلى مجتمعه بالخير. قال النبي ﷺ: «اغتنم خمسا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك»[1].

رابعا : التربية النفسية :

استخدم علماء التربية ألفاظ النفس والعقل والروح وكأنها مترادفات أحيانا ، وميزوا أحيانا أخرى بين لفظ ولفظ.

والنفس إذا سكنت تحت الأمر وزايلها الاضطراب بسبب معارضة الشهوات سميت النفس المطمئنة ، وإذا لم يتم سكونها صارت مدافعة للنفس الشهوانية سميت النفس اللوامة، فإذا تركت الاعتراض وأذعنت لمقتضى الشهوات ودواعي الشيطان سميت النفس الأمارة بالسوء[2].

وكل من استولت عليه النفس صار أسيرا في حب شهواتها، محصورا في سجن هواها، مقهورا مغلولا زمامه في يدها، تجره حيث شاءت فتمنع قلبه من الفوائد، شعار هذه الفئة ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلْآخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾[3].

والنفس الإنسانية طاقة حيوية.. لا يكبت الإسلام رغائبها: فيقتل حيويتها ويبدد طاقتها ويشتت كيانها بحيث لا تعمل ولا تنتج ولا تصلح لعمارة الأرض وترقية الحياة. وفي الوقت ذاته لا يطلق رغائبها بلا حدود.

وسبيله في تربية النفس.. هي الضبط. إنه يعمل على تربية القوة الضابطة وتنميتها منذ نعومة الأظافر[4].

---

(١) الحاكم ٤/ ٣٠٦.

(٢) مجموعة رسائل الإمام الغزالي ٢/ ٤١.

(٣) البقرة: ٢٠٠.

(٤) منهج التربية الإسلامية : محمد قطب ١/ ١١٩.

لقد خلقت الشهوة وهي ضرورية في الجبلة، فلو انقطعت شهوة الطعام لهلك الإنسان، ولو انقطعت شهوة الوقاع لانقطع النسل، ولو انعدم الغضب بالكلية لم يدفع الإنسان عن نفسه ما يهلكه ولهلك، وليس المطلوب قمع هذه الرغائب بل المطلوب، ردها إلى الاعتدال الذي هو وسط بين الإفراط والتفريط [1].

ومن أهم الضوابط التي تسهم في تعويد النفس على القيام بالأعمال في أوقاتها ومواعيدها: العبادات كالصوم والصلاة.. ولذلك لا يتساهل الإسلام في أي منها في حال بلغ الصبي سن التمييز [2].

رياضة النفس :

وكما أن للجسد رياضته.. فكذلك النفس. ورياضة النفس تؤدي إلى الوسط وتعود بالشهوة إلى حد الاعتدال، وان معرفة طبيعة النفس البشرية، والقوى الغريزية التابعة لها، يساعد على تحديد نوع الرياضة المناسبة في علاج الآفات المختلفة للنفس وذلك لأن الجبلات مختلفة، بعضها سريعة القبول وبعضها بطيئة القبول، إضافة إلى أن منها ما هو أقدم وجودا من الآخر، فإن قوة الشهوة والغضب والتكبر موجودة في الإنسان ولكن أصعبها مراسا وأعصاها على التغيير قوة الشهوة فإنها أقدم وجودا [3]، وعليه فإن طريقة المجاهدة والرياضة تختلف من إنسان لآخر بحسب اختلاف أحواله.

ولقد انتبه الإمام الغزالى (وهو يمارس التدريس في جامعة النظامية في بغداد) إلى الفروق الفردية في مجال التربية النفسية عند المتعلمين. فهو يرى: أن وصف العلاج يختلف باختلاف العلة، حتى إن الطبيب لا يعالج ما لم يعرف أن العلة حرارة أو برودة، فإن كانت من حرارة فيعرف درجتها، فإذا عرف ذلك التفت إلى أحوال البدن وأحوال الزمان ومناعة المريض وسنه وسائر أحواله ثم عالج .

---

(١) إحياء علوم الدين : أبو حامد الغزالى ٣/ ٦٢.

(٢) المصدر السابق ٣ / ٧٩.

(٣) المصدر السابق ٣ / ٦١.

ويعتبر الغزالى الحفز والتوجيه وسيلتين ناجعتين من وسائل تربية النفس ، ففى حال ظهر من الصبى خلق جميل وفعل محمود فينبغى أن يكرم عليه بما يفرح به ويمدح بين أظهر الناس.

وإن أساء الصبى في بعض الأحوال مرة واحدة فينبغى أن يتغافل عنه ولا يهتك ستره ولا يكاشف، وإذا عاد ثانية فينبغى أن يعاتب سرا ويعظم الأمر عليه ، ويقال له: إياك أن تعود لمثل ذلك ، ولا تكثر القول عليه بالعتاب [1] .

السعادة :

والسعادة هى الكلمة التى دندنت حولها الفلسفة على اختلاف اتجاهاتها ، فتصورها البعض حرية بلا حدود ، أو شهوات بلا ضابط .. أو دنيا بلا آخرة ، أو آخرة بلا دنيا.

أما الإسلام فاعتبر السعادة هي مرضاة الله، ونهي النفس عن الهوى، وابتغاء الدار الآخرة، وعدم إهمال الدنيا ، وأنشأ داخل النفس قوة تسمى الضمير تعمل على ضبط النزعات والشهوات، وتنمي الصفات الفاضلة والنزعات الشريفة، مهتدية بالهدى الربانى فى الكتاب والسنة المطهرة .

قال النبى ﷺ: « البر ما اطمأنت إليه النفس واطمأن إليه القلب، والإثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر ، وإن أفتاك الناس وأفتوك» [2].

والفطرة السليمة هي الضمير اليقظ الواعى ، فإذا تيقظ الضمير كان الحكم عليك وعلى تصرفاتك « إذا أراد الله بعبد خيرا جعل له واعظا من نفسه» [3].

---

(١) إحياء علوم الدين : أبو حامد الغزالى ٣ / ٧٨.

(٢) أحمد (٤ / ٢٢٧) ، والدارمى (٢٥٣٣) .

(٣) الجامع الصغير (٣٧٨) .

درجات بناء النفس :

١- أن يخلّص الإنسان فطرته السليمة (ضميره) مما يشوبها من مغريات وشهوات، وأن يتذكر ﴿ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً ﴾ [1].

٢- تعويدها على الطاعات بالإكراه أولا حتى تتعود.

٣- تزكيتها بالطاعات ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ۝ ﴾ [2].

٤- أن يجعل له من نفسه زاجرا ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝ ﴾ [3].

٥- حب الطاعة وبغض المعصية.

٦- أن يراقب الإنسان الله عزّ وجلّ في كل ما يقول أو يعمل، وهي درجة الإحسان. «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك» [4].

ولقد وصف رسول الله ﷺ حال السعادة هذا فقال: «عجبا لأمر المؤمن، إن أمره كله خير. إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له» [5].

---

(١) الإسراء : ٣٦.

(٢) الأعلى.

(٣) النازعات.

(٤) مسلم (٩ / ٥) .

(٥) مسلم (٢٩٩٩ / ٦٤) .

ميادين التربية

١ - تربية الجسم :

* الجسد هو الأداة التي تترجم الذات الإنسانية أعمالها.
* والجسد مركب من يوصل صاحبه إلى فعل الخيرات.
* القوة المطلوبة هي قوة الجسد والقوة المعنوية.
* صيانة الجسد (العلاج، الوقاية، النظافة، الصحة النفسية، الغذاء).

٢ - تربية الروح :

* العقيدة (تربية الضمير).
* العبادات.

٣ - التربية العقلية :

* الإدراك. العقل العملي. العقل القلبي.
* التربية العقلية. تفريغ العقل. التثبيت.
* النظر الذي يبدأ بالتفكر وينتهي بالعمل.

٤ - تربية النفس: (النفس المطمئنة، اللوامة، الشهوانية، رياضة النفس، السعادة).

٥ - درجات بناء النفس :

* الابتعاد عن المغريات.
* عويدها على الطاعات.
* تربية الضمير.
* حب الطاعة وبغض المعصية.
* مراقبة الله في كل قول أو عمل.